

Digital education and educational quality requirements

Epistemological vision

التعليم الرقمي ومتطلبات جودة التعليم رؤية إبستمولوجية

atta'leem arraqmee wamttlbaat jawda atta'leem ra'ya abstmouloujya

د. محمد بوداني¹.

BOUDANI Mohamed

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة - الجزائر.

Mohamed.boudani@univ-dbkm.

تاريخ الاستلام: 2024/09/07 تاريخ القبول: 2024/12/30 تاريخ النشر: 2025/6/11

Abstract: This work aims to discuss the problem of digital education and education quality standards by highlighting the characteristics of this type of education compared to classical education Then, identify the concept of digital education quality and the requirements of quality in this type of education. passing through the epistemological position of the Polish thinker Zygmunt Bauman,. Finally, some ideas for correct the shortcomings of digital education. All this according to a critical analytical method. This allowed for some conclusions: the existence of some obstacles that prevent the achievement of education quality requirements in this type of education. Some of them are related to the learner himself, and others are related to education. But, these obstacles can be adapted by searching for an educational philosophy that works to reduce the shortcomings of this type of education.

Keyword: Classical education; Digital education; quality of education; technological means; epistemological vision;

ملخص: يهدف هذا العمل إلى مناقشة إشكالية التعليم الرقمي ومعايير جودة التعليم، من خلال أبرز خصائص هذا النوع من التعليم بالمقارنة بالتعليم الكلاسيكي. ثم التعرف على مفهوم جودة التعليم الرقمي ومتطلبات معايير الجودة في هذا النمط من التعليم، مروراً بالموقف الإبستمولوجي للمفكر وعالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان الذي يبرز من خلاله التعارض بين التعليم الرقمي ومتطلبات جودة التعليم. وفي الأخير عرض بعض الأفكار لإصلاح نقائص التعليم الرقمي. كل هذا وفق منهج تحليلي نقدي. وقد سمح هذا بالخروج ببعض الاستنتاجات مفادها وجود مجموعة من المعوقات تحول دون تحقيق متطلبات جودة التعليم في هذا النمط من التعليم. بعضها تتعلق بالمتعلم نفسه، وبعضها الآخر تتعلق بالتعليم. ولكن هذه المعوقات يمكن تطويعها بالبحث عن فلسفة تربوية تعمل على الحد من نقائص هذا النوع من التعليم والإستثمار فيه كي يكون خادماً لما تتطلبه جودة التعليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم الكلاسيكي؛ التعليم الرقمي؛ جودة التعليم؛ الوسائل التكنولوجية؛ رؤية إبستمولوجية.

¹ المؤلف المرسل: د. محمد بوداني،

1. مقدمة:

في هذا العصر الذي شهد تطورا تكنولوجيا وتدفقا معرفيا هائلا، تغلغت التكنولوجيا في كافة مناحي الحياة المعاصرة، فلم تستثن أي مجال من مجالات الحياة ومن أبرز هذه المجالات التعليم الذي لم يتخلف عن الركب. فظهر ما يدعى التعليم المرقمن أو الإلكتروني في خضم ثقافة هذا العصر التكنولوجي وتقنية المعلومات. فلم يعد التعليم كما كان سابقا يتم بوسائل تقليدية، بل شهد تطورا وهو ما استدعى تغيير الرسالة التعليمية على المستوى العالمي. وصار هذا التعليم الذي يدعى التعليم الإلكتروني أهم سمات عصرنا الحالي. مما يعني نهاية زمن التعليم الكلاسيكي ليستخلف بالتعليم الإلكتروني الذي فرضته العولمة وتقنية المعلومات. وبهذا صار تدفق المعلومات السمة الفارقة للعصر الذي نعيشه. فقد كسرت كل القيود والحدود التعليمية. وساهمت في تكسير احتكار وسائل ومصادر التعليم التقليدية فتغلغل كل ما هو رقمي في الأوساط التعليمية. فأصبحت التكنولوجيا الرقمية من أساسيات النظام التعليمي إذ يتم رقمنة كل محتوى تعليمي وتحويله إلى صورة رقمية مقروءة أو مسموعة أو مرئية يتم الوصول إليها بصورة تفاعلية سريعة.

ولكن ما هو ملاحظ، أن هذا النوع من التعليم أدى إلى زيادة في المعلومات والمعارف وتقليل الإستهيعاب والفهم. ذلك أن المعرفة صارت استهلاكية على غرار السلعة في الإقتصاد، وهذا معناه أن ذاكرة الفرد تصبح فارغة من المعارف، كوننا انتقلنا من حضارة التعلم والحفظ إلى حضارة سرعة الزوال وبالتالي النسيان، بحيث أن الذاكرة راحت ضحية اللعبة الإستهلاكية وهو ما يتنافى مع أحد أهم معايير جودة التعليم والمتمثل في معيار نتائج التحصيل العلمي. وعليه وجب البحث عن حلول لإصلاح هذا النوع من التعليم بالبحث عن فلسفة تربوية تعمل على الحد من نقائص هذا النوع من التعليم والإستثمار فيه كي يكون خادما لما تتطلبه جودة التعليم. في هذا الإطار يندرج هذا العمل الذي نحاول من خلاله الإستئناس بأفكار عالم الاجتماع البولندي زيغمونت باومان (Zygmunt Bauman) (1925-2017م) وذلك بإبراز موقفه الإبستمولوجي من التعليم الإلكتروني. فالى أي مدى يستجيب هذا النوع من

التعليم لمتطلبات ومعايير جودة التعليم؟ وكيف قرأ وشخص باومان واقع التعليم في هذا العصر؟ وماهي أهم الأفكار لإصلاح هذا النوع التعليم؟
 بغية تحليل هذا التساؤل وتحقيق الأهداف التي نرمي إلى تحقيقها والمتمثلة في الكشف عن الرؤية الإبستمولوجية لزيغمونت باومان التي تكشف التعارض بين متطلبات جودة التعليم والتعليم الرقمي. وكذا البحث عن فلسفة تربوية من خلالها يتم التقليل من نقائص هذا النوع من التعليم، إرثاينا الإعتماد على المنهج التحليلي النقدي. وهذا بتحليل العناصر الموالية:

- التعليم الرقمي وخصائصه بالمقارنة بالتعليم الكلاسيكي.

- مفهوم الجودة في التعليم الرقمي ومتطلباتها.

- الموقف الإبستمولوجي لبأومان من التعليم الرقمي.

- أفكار من أجل إصلاح نقائص التعليم الرقمي.

2. التعليم الرقمي وخصائصه بالمقارنة بالتعليم الكلاسيكي:

لقد عرف التعليم تغيرات عديدة، عبر تاريخه الطويل، قبل الوصول إلى ما هو عليه الأمر اليوم أو إلى عصر السيولة¹ كما يسميه زيغمونت باومان، أين عرف التعليم نقلة نوعية بحيث انتقل من نمط تعليمي إلى نمط تعليمي آخر. أو بتعبير آخر من التعليم المباشر الذي كان سائدا في العصر الذي يصطلح عليه باومان عصر الصلابة إلى ما يعرف بالتعليم الإلكتروني. ففي العصر الأول كان التعليم رهين ثقافة معينة ثابتة، إذ كان للمعلم والمتعلم أدوارا محددة ومتوقعة يمكن التنبؤ بها. أين انتشر التعليم المباشر الذي يتم في المدارس بالشكل المتعارف عليه. فهو ذلك النظام التعليمي الذي يجري في قاعات أعدت خصيصا لها الغرض، ومجموعة من الأقسام الدراسية تضم تلاميذا أو طلابا أي متعلمين من جميع الفئات ويتم تلقينهم

¹ السيولة كمصطلح أطلقه زيغمونت باومان في سلسلة مؤلفاته الثمانية: الحداثة السائلة، الحياة السائلة، الحب السائل، الأخلاق السائلة، الأزمنة السائلة، الخوف السائل، المراقبة السائلة، والشر السائل. هذه المؤلفات التي كان الغرض منها حسب فهم الواقع المعاصر من خلال تحليل العديد من الظواهر التي اجتاحت العالم على المستوى الثقافي والاجتماعي، عبر استبدال مفهوم الحداثة بالحداثة الصلبة وما بعد الحداثة بالحداثة السائلة.

الدروس عن طريق المعلم، الذي يعتبر في هذا النوع من التعليم محور العملية التربوية (عزيبى، 2021). بمعنى أن التعليم في هذه الفترة كان قائماً على تقديم الدروس التعليمية سواء نظرية أو تطبيقية في قاعة مخصصة لهذا الغرض وجها لوجه. إذ يستلزم هنا حضور كل من المعلم والمتعلم في القاعة نفسها والوقت نفسه.

ومن جهة أخرى كان التعليم في هذا المرحلة يعتمد أساساً على الكتاب بما يحتوي عليه من معلومات فضلاً عن المعلم والمتعلم، ولا وجود للوسائل التكنولوجية المبتكرة. مما يعني أن التعليم هنا كان يتم عن طريق التواصل المباشر بين المتعلم ومعلمه وهو ما يتيح الفرصة للمتعلم من الإستفسار من معلمه بطريقة سهلة ميسورة. ومن جانب آخر يتمكن المتلقي ملاحظة حركة معلمه أو أستاذه قد تساعده هذه الملاحظة في استرجاع ما تم تعلمه. وفي الوقت نفسه يستطيع المعلم، أن يعرف مدى استجابة المتعلمين لما يقدم لهم، من خلال تفاعلهم وتجاوبهم مع ما يقدم لهم، وحتى من تعابير وملامح وجوههم.

إذن كان القسم هو الفضاء الخاص بالتعليم. ولكن المشكل هنا أن هناك ظروفًا قد يخضع لها المعلم، مما يجعله مضطراً إلى السرعة لإرتباطه بقيود الزمن التي يفرضها البرنامج الدراسي مما يجعله يقوم بتعديل مساره الزمني وفقاً لمعايير معينة خاصة به، قد تكون في الكثير من الأحيان على حساب المتعلم ومراعاة الفروق الفردية. وهذا معناه أن التعليم في زمن الحداثة الصلبة كان يركز على مبدأ العقلانية على حساب العاطفة والوجدان مما يجعل من عملية التعليم هنا عملية مجردة من الإنسانية وهو ما ينعكس حتماً بالسلب على عملية التحصيل.

إن المعلم في هذه الحقبة المسماة عصر الحداثة الصلبة. كان تعليمه منصّباً على نوعين من المعرفة: معرفة نظرية ومعرفة عملية تطبيقية تتوارث من جيل إلى آخر. وكان التعليم في هذه الحقبة يستهدف جانبين جانب تطبيقي وآخر أخلاقي. فحقق قفزة في مجال التحصيل بحيث تمكن من تكوين جيل من المتعلمين يمتلكون استعدادات معرفية وكذا نفسية للعمل في معامل الحداثة.

نشير في الأخير إلى أن زيجمونت باومان رأى بأن فلسفة التربية في هذا العصر أي عصر الصلابة كانوا ينظرون إلى المعلمين على أنهم قاذفات لصواريخ

بالستية. كأنهم مجرد أجهزة إطلاق القذائف والصواريخ الباليستية. فتمكنوا بهذا من تحقيق إنجازات عظيمة من الإختراعات التقنية، فخدموا بهذا "ببراعة كل من أراد قهر العالم لما كان عليه حينها" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 240). فقدموا خدمات جليلة للذين كان همهم السيطرة على العالم، بفضل اكتشافهم للصواريخ والأجهزة الفتاكة التي تعمل على تدمير البشرية في وقت قصير. والدليل على ذلك من أن اكتشاف أول رشاش المسمى رشاش ماكسيم من طرف الأمريكي ستيفن ماكسيم عام 1884م، كان في زمن الصلابة.

وفي مقابل هذا أي في العصر الثاني المسمى عصر الحداثة السائلة أصبح المتعلم يتلقى المعارف والمهارات والخبرات في هذا الزمن الذي سيطرت عليه الأنترنت عبر الوسائل الإلكترونية. وهو الأمر الذي تطلب ضرورة اكتساب المتعلم مهارات جديدة تتلاءم ومقتضيات العصر.

في هذا العصر الذي سيطرت عليه الأنترنت والوسائل الإلكترونية، صارت منظومة التعليم مهددة، بسبب فيض المعلومات وتدفقها. وفي مقابل ذلك نسيان الفرد لما اكتسبه لأنه تحول إلى فرد استهلاكي (عمو، 2021). فالمجتمع السائل هو مجتمع استهلاكي بحسب باومان. الأفراد في هذا المجتمع يستهلكون كل ما هو مواكب للعصر على حد تعبير باومان: " الحياة الإستهلاكية حياة من التعلم والنسيان السريعين" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 197). ذلك أن تعلم ما هو جديد ومعاصر خاصة ما يعرف بآخر صيحة يقتضي نسيان ما تم استهلاكه. " فالنسيان مهم بقدر التعلم" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 197). وهذا يدل أن الحياة الإستهلاكية لحظية والشئ نفسه بالنسبة للتعليم، والسعادة في المجتمع الإستهلاكي تتمثل في التخلص من الأشياء وليس في صنعها. شعار هذه الحياة " اشتر، استعمل ، أرم" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 199).

هذا الفائض في المعلومات الذي أشرنا إليه سالفا صار يشكل خطرا على المنظومة التعليمية الحديثة. لكون المعرفة في هذا العصر أصبحت جزئية وغير تراكمية. وهذا ما أدى إلى ظهور مهارة النسيان والتفكك محل التذكر والشمولية فعوض

أن تؤسس ثقافة التعليم التراكمي، وثقافة التذكر حل محلها ثقافة التعليم الإنقطاعي والإنسلاخي وثقافة النسيان. فالتعليم في الحياة السائلة أصبحت ميزته الخاصة السرعة والنسيان، "فهذه الملاحظة التي ينطلق منها الباحث في معاناة منظومات التعليم الدائرة في عصرنا في ضوء حراك السيولة الذي يبدو هوية لكل شيء في العالم، فمثلاً يعيش الإقتصاد الإستهلاكي على تقلب البضائع كذلك هو التعامل مع التعليم وتلك طامة كبرى" (رسول، 2016).

يشير هنا الباحث العراقي رسول محمد رسول (1959-2022م) إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن المعرفة إذا صارت استهلاكية على غرار السلعة في الإقتصاد. معناه أن ذاكرة الفرد تصبح فارغة من المعارف وهو أمر غير طبيعي وهذا ما أشار إليه باومان، عندما أشار إلى أن الذاكرة راحت ضحية اللعبة الإستهلاكية، بعدما انتقلنا من حضارة التعلم والحفظ إلى حضارة سرعة الزوال وبالتالي النسيان (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 237).

خلاصة القول أن التعليم السائل مهدد بشبح فرط السيولة، ولما كانت الحضارة السائلة حضارة الإسراف والحشو والتبذير وتصريف المخلفات فكان التعليم كذلك. فإذن الحياة المائعة هي حياة التخلي عن الدروس الماضية والترفع عن المهارات السابقة بلا حياء أو ندم (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 250).

بقي أن نشير في الأخير إلى أن باومان يربط سيولة التعليم بسيولة القيم الأخلاقية بحيث ترتبط كل منهما بالنزعة الإستهلاكية. فالحياة الأخلاقية هي الأخرى، أصبح يغلب عليها طابع اللاتبات في القيم والمعتقدات والتي من المفترض أنها تحتاج إلى نوع من الإستقرار والإلتزام (أباه، 2020).

3. مفهوم الجودة في التعليم الرقمي ومتطلباتها:

قبل التعرف على مفهوم الجودة في التعليم الرقمي نعرض على تعريف الجودة عامة من حيث اللغة والإصطلاح.

أ- **الجودة لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور أن أصل كلمة الجودة "جود" والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جوده، وجوده أي صار جيداً، وأجاد أي أتى بالجميل من القول والفعل (ابن منظور، 1984، صفحة 72).

أما في قاموس وبستر الجديد (Websters New Dktionary) فإن الجودة هي: " السمة الأساسية والمميزة لشيء ما، كما تعني درجة الامتياز لنوعية معينة من المنتجات " (Verginas & Alexander, 1971, p. 368) .

ب- الجودة اصطلاحاً: يعرفها المفكر الأمريكي الملقب بأبي الجودة إدوارد ديمينج (Edward Deming) (1990-1993): بأنها تحقيق رغبات المستهلك من خلال الحصول على جودة عالية (الويكيبيديا، 2023). مما يعني أن الجودة مرتبطة بما يرغب فيه المستهلك أو العميل. وفي السياق نفسه يعرف جيمس تيبول (James Teboul) الجودة بأنها المقدرة على إرضاء احتياجات العميل وقت الشراء وأثناء الاستخدام وبأفضل تكلفة، والعمل على تقليل الخسائر بالإضافة إلى زيادة القدرة على المنافسة (Teboul, 1991, p. 47) .

وهو التعريف الذي يتوافق مع تعريف إليزابيث وولف موريسون (Elizabeth Wolfe Morrison) التي تجعل من جودة الخدمة وتحسينها حتمية استراتيجية لتحقيق احتياجات العميل وزيادة القدرة التنافسية (Morrison, 1996, pp. 494-495) من هذه التعريفات السابقة يتضح لنا أنه ليس هناك تعريفاً واحداً للجودة يمكن أن يوصف بأنه الأفضل أو الأصح. وعلى الرغم من عدم وجود مفهوم واحد متفق عليه عالمياً هناك بعض العناصر التي تشترك فيها تعريفات الجودة بحسب الباحثان ديفيد جوتش (David L. Goetsch) وديفر ستانلي (Davis Stanley) وهي كما يلي:

- تعمل الجودة على إشباع توقعات العميل أو ما يفوق ذلك

- يمكن تعميم تطبيق الجودة على -الخدمات- السلع - العمليات - الأفراد البيئات.
- تتسم الجودة باستمرارية التغيير - فما هو مقبول اليوم كجودة قد لا يكون مقبولاً فيما بعد (Davis., 1995, p. 3).

ما يلاحظ على كل هذه التعاريفات أنها تربط الجودة بالجانب الإقتصادي باعتبار أنها تجعل من الجودة متعلقة بمنظور العميل وتوقعاته وذلك بمقارنة الأداء الفعلي للمنتج أو الخدمة مع التوقعات المرجوة من هذا المنتج أو الخدمة وبالتالي يمكن الحكم من خلال منظور العميل بجودة أو رداءة ذلك المنتج أو الخدمة.

أما في التعليم فيمكن تعريفها على أنها ما يبذله القائمون على أمر المؤسسة التعليمية من جهود. بغرض تطوير وتحسين مخرجاتها على ضوء الاتجاهات العالمية للجودة الشاملة. مما يعني أن الجودة بشكل عام تلك العملية التي تهدف إلى الارتقاء بالعملية التعليمية وتحقيق نقلة نوعية من خلال تطبيق مجموعة من المعايير والإجراءات التي يهدف تنفيذها إلى التحسين المستمر في المنتج التعليمي، وتشير كذلك إلى المواصفات والخصائص المتوقعة في هذا المنتج وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلالها تلك المواصفات مع توفر أدوات وأساليب متكاملة تساعد المؤسسات التعليمية على تحقيق نتائج مرضية.

في حين تتطلب الجودة في التعليم الرقمي جوانب كثيرة يجب أن تمتد الجودة لتشملها على سبيل المثال جودة ونوعية طرق التعليم المستخدمة، ونوعية ومدى تفاعل المتعلمين والمحتوى الإلكتروني المقدم لهم، والخبراء والمعلمين ومدى اكتسابهم للمعرفة وإحداث التعلم، إضافة إلى جودة وإدارة التعلم إلكترونياً، والتصميم الهيكلي لبيئة التعلم ودمجها مع المواد التعليمية وفق تنوع رغبات واحتياجات المتعلمين.

ومن هنا يمكن القول أن جودة التعليم الرقمي، بأنها تركيبة ثلاثية تتكون من ثلاثة محاور: المحور الأول هو جودة التصميم و المحور الثاني هو جودة الأداء والمحور الثالث هو جودة المخرجات.

ففيما يخص المحور الأول: يجب أن يكون التصميم محدداً من حيث المواصفات التي يجب مراعاتها في التخطيط والعمل في كل من المحتوى الإلكتروني، والمنصات التعليمية المستخدمة، وطرق التعليم وإدارتها إلكترونياً، وكذا التفاعل.

أما فيما يتعلق بالمحور الثاني: فيجب أن تكون جودة الأداء وفق المعايير التي تم تحديدها أثناء عملية التصميم والتخطيط.

بينما المحور الثالث المتعلق بجودة المخرجات: يجب أن يكون المنتج التعليمي والخدمات الناتجة عن عملية التعليم الإلكتروني محققة للمعايير والمواصفات المتوقعة. وعليه يمكن القول أن نجاح نظام التعليم الإلكتروني مرتبط بملاءمة المخرجات للأهداف المحددة وفي ضوء تحقيقه لمعايير الجودة المعتمدة.

السؤال المطروح هل يستجيب التعليم الإلكتروني إلى هذه المعايير؟ على الرغم من الخصائص التي يتميز بها التعليم الإلكتروني والتي جعلت منه أمرا أساسيا في عملية التعليم الحديثة كونه يلبي احتياجات المتعلمين بكافة شرائحهم والتي يمكن تلخيص أهمها في النقاط التالية:

- المرونة الزمانية والمكانية: حيث يستطيع المتعلم أن يدرس بدون الحاجة للذهاب إلى المدرسة كل يوم أو التقيد بساعات التعلم الثابتة، وقد ظهر ذلك في فترة جائحة كورونا.

- توفير الوقت والمال: الذي يتطلبه الوقت والجهد في إرتداء الملابس أو مواجهة حركة المرور أثناء الذهاب إلى المدرسة، والنفقات المترتبة عليها، حيث يمكن للمتعلمين الدراسة بشكل أكثر كفاءة وسرعة، ويمكنهم من الدراسة بالسرعة التي تناسبهم، والقدرة على الدراسة من المنزل المريح تجعل عملية التعلم أقل صعوبة.

- تلبية الاحتياجات الخاصة للمتعلّمين والحصول على مساحة كبيرة من الحرية في شكل وطرق التعلم التي تناسب المتعلم.

- الاستمرارية: فلا ظروف طارئة أو مقيدة يمكن أن تحول بين المتعلم وبين هذا النمط من التعليم والتعلم إلا في حدود ضيقة جدا.

- المسؤولية والالتزام الذاتي: حيث تكون مسؤولية التعلم وتطوير المهارات مسؤولية شخصية المعلم ولا تعطيه مجالا لتحميل مسؤولية تقصيره أو فشله إلى الآخرين.

- كما يساعد على مواجهة تحديات المدارس في زيادة نسبة غياب المتعلمين والتسرب الدراسي. ويسهم في تقليل الهدر من الموارد ويوفر نظام متابعة دقيق لمستوى تقدم المتعلمين. بل ويخلق منظومة تعليمية متطورة تتماشى مع التقدم المتسارع في العالم. وأخيرا يستشرف المستقبل في حقبة العصر الرقمي من أجل التصدي للأزمات والطوارئ.

كل هذا لا يمنع من وجود مجموعة من السلبيات والمعوقات التي تحول دون تحقيق جودة التعليم في هذا النمط من التعليم. بعض هذه المعوقات تتعلق بالمتعلم نفسه ولعل من أبرزها:

- كفاءة تعامل المتعلم مع الآليات التكنولوجية للتعليم. فليس لدى الطالب الوعي الكافي عن الأنظمة التي يتم فيها التعليم الإلكتروني بشكل فعال.
 - عدم قناعة الطالب أو المتعلم بالتعليم الإلكتروني سواءً تعلق الأمر بالتعليم في الأطوار الأولى أو بالتعليم الجامعي.
 - عدم توفر الخصوصية والسرية عند استخدام التعليم الإلكتروني.
- أما المعوقات المتعلقة بالتعليم ذاته وهي التي تحدث عنها زيجمونت باومان، وقد ذكرناها عند الحديث عن التعليم الرقمي وخصائصه بالمقارنة بالتعليم الكلاسيكي. وتتمثل أساساً في أن التعليم صار استهلاكياً ارتبط بثقافة العصر الإستهلاكية إذ أن ما يسميه باومان المجتمع السائل هو مجتمع استهلاكي. الأفراد في هذا المجتمع يستهلكون كل ما هو مواكب للعصر ومن هنا أضحت حياتهم استهلاكية والحياة الإستهلاكية تتميز كما يقول باومان بـ: "التعلم والنسيان السريعين" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 197). لأن إدراك وتعلم ما هو جديد ومعاصر خاصة ما يعرف بآخر صيحة يتطلب نسيان ما تم استهلاكه. ومن هنا صار " فالنسيان مهم بقدر التعلم" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 197). وهنا يصبح التعليم لحظياً على غرار الحياة الإستهلاكية التي شعارها " اشتر، استعمل، أرم" (باومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، 2016، صفحة 199).

4. الموقف الإستمولوجي لبأومان من التعليم الرقمي :

أشرنا من قبل أن التعليم لم يبق كما كانا سابقاً بل عمل على مساهمة التطور التكنولوجي الحاصل وهذا ما نجم عنه تغيير طرق التدريس ووسائله على المستوى العالمي. ومن هنا برز التعليم الإلكتروني كأحد أهم مميزات الرسالة التعليمية في عصرنا الحالي. وهذا يوحي أن زمن التعليم الكلاسيكي الذي اعتادت عليه الأجيال القديمة قد انتهى، ليحل محله ما يدعى التعليم الإلكتروني، الذي فرضته العولمة وتقنية المعلومات.

يحدث هذا التعليم عبر شبكة الأنترنت باستخدام تقنيات إلكترونية حديثة، ويعتمد أساساً على توفر بيئة إلكترونية وتكنولوجية متطورة. تقدم للمتعلم والمعلم ما

يحتاجه كل منهما. فيتفاعل المتعلمين فيما بينهم من جانب، ومع معلمهم وأساتذتهم من جانب آخر. وبهذه الطريقة يصبح وقت المعلمين كما يرى عالم الاجتماع الألماني هارتمورت روزا (Hartmut Rosa) (1965-...) متحكم فيه ومؤطر بشكل أفضل مما كان عليه التعليم الكلاسيكي، بحيث تستحوذ تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على الحيز الكبير من هذا الوقت، فهذه التكنولوجيا لم تعد بحسب هذا المفكر مجرد أدوات ووسائل، لكنها أضحت تشكل معرفة في حد ذاتها، يفهم من هذا أن عامل الوقت الذي كان غير متحكم فيه في الطريقة الحضرية أضحى متحكماً فيه ومؤطراً بشكل أحسن في هذا النوع من التعليم.

لكن المشكل الذي يعاني منه عالمنا الواقعي اليوم فقدان الفضاءات الآمنة للتعليم في العالم الافتراضي. لكونه معولم وغير محدود. فنجد فيه جميع الأصناف والفئات، وهنا يصبح المتعلمون عرضة لتلقي ما هو غير أخلاقي كالتشجيع على الإدمان بدل التعليم والتثقيف. لهذا يرى باومان أنه يتوجب على أوروبا إن أرادت تجاوز أخطائها المعرفية، "إعادة النظر في الخطاب السوسيولوجي المعرف للمبادئ الأخلاقية" (محسن، 2017). ومن جهة أخرى فمواقع التواصل الاجتماعي والتقنية بصفة عامة تبعدنا عن الجدل والمناقشة العلميين ولا تتيح الفرصة للمتعلمين بالتوسع في أفقهم.

إذا على الرغم، من أن الوسائط الإلكترونية توفر الجهد والوقت والراحة والمنفعة إلا أن التعليم المتداول عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هدفه الرئيسي حصد أكبر قدر من تسجيلات الإعجاب والتعليقات أو إتاحة المعلومات للنشر في نطاق أوسع، وليس الهدف منه توعية المتعلمين وتزويدهم بالمعارف التي يحتاجونها (هدور، 2017). وهذا ما جعل العملية التعليمية والتعلمية في تراجع ملحوظ، "فالحياة الاجتماعية تحولت حقا إلى حياة إلكترونية أو إلى حياة افتراضية، إذ تمضي الحياة الاجتماعية بالأساس في صحبة أجهزة الحاسوب الألي والأيباد والهاتف النقال، ولا تمضي في صحبة بشر من لحم ودم إلا بصفة ثانوية" (باومان، الحداثة السائلة، 2017). أي أن الحياة الاجتماعية أضحت حياة إلكترونية وأصبح التعليم الذي كان صلبا إلكترونيا.

إن المتعلمين في استخدامهم وسائل التواصل الاجتماعي إنما يستخدمونها كأداة لعرض صفاتهم لغرض جذب الإنتباه. فيتحولون إلى بضائع قائمة على لفت الإنتباه

وجلب الطلب، ومن هنا تحول النشاط التعليمي إلى نشاط تسويقي. كل هذا يسمح لنا بالقول أن التعليم الإلكتروني قلل من قيمة التعليم الهادف.

5. أفكار من أجل إصلاح نقائص التعليم الرقمي :

لقد شخّص باومان واقع التعليم في العصر الذي سماه عصر السيولة، من خلال محاولة الكشف عن عيوب التعليم المرقم. ولكنه لم يقدم العلاج المناسب لهذا المشكل الذي كشف عن الكثير من جوانبه. إذ أنه بين أن التعليم في عصر السيولة ساهم في زيادة المعارف ولكنه من جهة أخرى ساهم في عدم الفهم والإستعاب من جانب، والنسيان من جانب آخر.

والعلاج المناسب في رأينا يكمن في قدرة أعضاء العملية التعليمية على التكيف مع سيولة المعارف وذلك بالتركيز على بعض المهارات التي تستدعيها الحاجة الحالية. سيما مهارات العصر الرقمي.

وهنا يجب التمييز بين نوعين من مهارات العصر الرقمي، أي لابد من التمييز بين مهارات استخدام تقنيات العصر وبين مهارات التكيف مع العصر الرقمي. الأولى تحتاج إلى إختصاصيين في تكنولوجيا المعلومات لتعليم المتعلمين على الإستغلال الأنسب لهذه التقنيات، وكذا وتمكينهم من فهم وإتقان هذه المهارة التي تعتمد على الوسائل التكنولوجية المتطورة. فمن الضروري امتلاك المهارات اللازمة لإدارة الوسط الرقمي ولإستخدامه إستخداما صحيحا وملائما. لتحدث الإستفادة من خلال عملية التعلم. أما الثانية فيشترط في المعلم أن يحسن جمع البيانات والمعلومات الكافية لإعداد المحتوى المعرفي وأن يكون قادرا على ممارسة دوره الإرشادي والتوجيهي على أحسن وجه.

ويمكن إضافة مهارات أخرى يشترك فيها المعلم والمتعلم كمهارة التفكير العقلاني، وبناء الروح النقدية، ومهارة التشخيص الذاتي، وحل المشكلات ومهارات التحليل والتفسير. هذه المهارات تمكنهما من التمييز بين الغث والسمين أو بين ما ينفع وما يضر

6. خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا أن نجمل القول فنقول، أن هذا العصر الذي سماه باومان عصر السيولة. أصبحت معه فلسفة السيولة هي فلسفة العصر والتي لسييت سوى ترسيخ لثقافة الحالة العابرة والمؤقتة. وكذا ترسيخ لثقافة الإستهلاك وسرعة التخلص من النفايات. ومع هذه الفلسفة ظهر العالم الافتراضي ليحل محل العالم الواقعي. وهو ما اصطبغ به التعليم الرقمي بحيث لم يعد التعليم كما كان سابقا يتم بوسائل تقليدية، بل شهد تطورا وهو ما استلزم تغيير الرسالة التعليمية على المستوى العالمي. فصار التعليم الرقمي مودة عصرنا الحالي. إذ صار تدفق المعلومات السمة الفارقة للعصر الذي نعيشه. غير أن ما هو ملاحظ، أن هذا النمط من التعليم أدى إلى زيادة في المعلومات والمعارف وتقليل الإستيعاب والفهم. وهذا لكون المعرفة صارت استهلاكية على غرار السلعة في الإقتصاد. وهو ما انجر عنه فراغ ذاكرة الفرد من المعارف تحت تأثير ثقافة العصر الإستهلاكية. وهو ما يتنافى مع أحد أهم معايير جودة التعليم والمتمثل في معيار نتائج التحصيل العلمي. وعليه صار لزاما البحث عن حلول لإصلاح هذا النوع من التعليم بالبحث عن فلسفة تربوية تعمل على الحد من نقائص هذا النوع من التعليم والإستثمار فيه كي يكون خادما لما تتطلبه جودة التعليم. أما عن أهم النتائج التي يمكن الخروج بها من هذا العمل فيمكن إيجازها في النقاط التالية:

- بعد أن حل العالم الافتراضي محل العالم الواقعي، وفي ظل ماسماه باومان الحداثة السائلة، انتقلت التربية ومعها التعليم من حالة الصلابة إلى حالة السيولة، فتحولا بدورهما إلى ظاهرة سائلة تحت رحمة العالم الافتراضي.
- وجود مجموعة من السلبيات والمعوقات التي تحول دون تحقيق متطلبات جودة التعليم في هذا النمط من التعليم بعض هذه المعوقات تتعلق بالمتعلم نفسه وبعضها الآخر تتعلق بالتعليم ذاته. أهم المعوقات الأولى يمكن تلخيصها في هذه النقاط:

- كفاءة تعامل المتعلم مع الآليات التكنولوجية للتعليم. إذ ليس لدى الطالب الوعي الكافي عن الأنظمة التي يتم فيها التعليم الرقمي بشكل فعال.
- عدم قناعة المتعلم أو الطالب بالتعليم الإلكتروني في جميع مراحل التعليم.
- عدم توفر الخصوصية والسرية عند استخدام التعليم الإلكتروني.
- وأما أبرز المعوقات المتعلقة بالتعليم ذاته، تتلخص في هذه النقاط:
- العصر الذي نعيشه هو عصر السيولة يتميز بثقافة الحالة العابرة أو المؤقتة أي ثقافة الإستهلاك وسرعة التخلص من النفايات تحت شعار "اشتر، استعمل، أرم". هذه الثقافة أثرت سلباً على التربية والتعليم. ذلك أن الأفراد في المجتمع السائل والذي هو مجتمع استهلاكي يستهلكون كل ما هو مواكب للعصر. ولكن استهلاك أو تعلم ما هو جديد ومعاصر يقتضي نسيان ما تم استهلاكه، فأصبح النسيان ضروري بقدر التعلم.
- الفائض في المعلومات صار يشكل خطراً على المنظومة التعليمية الحديثة، لكون المعرفة في هذا العصر صارت مرتبطة بمهارة النسيان لا مهارة التذكر. فعوض أن تسود ثقافة التذكر الضرورية للعملية التعليمية حلت محلها ثقافة النسيان.
- الذاكرة ضحية اللعبة الإستهلاكية، أي بعد أن صارت المعرفة استهلاكية على غرار السلعة في الإقتصاد، كون الإقتصاد الإستهلاكي يعيش على تقلب البضائع، سينجم عنه فراغ ذاكرة الفرد من المعارف وهذا أمر غير معقول.
- التربية والتعليم السائلان مهددان بشبح فرط السيولة، فلما كانت الحضارة في عصر الحداثة السائلة حضارة إسراف وحشو وتبذير وتصريف المخلفات فقد انعكس هذا على التعليم.

7. قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- أباه أبو طه، (2020)، " كيف يتمسك أطفالنا بالقضايا في زمن السيولة؟"، <https://bnfsj.net/p509>، تاريخ الزيارة: 2022/03/15.
- 2- ابن منظور، (1984)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- 3- أحمد محسن، (2017)، زيجمونت باومن، الرجل الذي لم تتطّل عليه كذبة الحادثة، <https://al-akhbar.com>، تاريخ الزيارة 2023/09/30.
- 4- الويكبيديا، (2023)، الموسوعة الحرة، ar.wikipedia.org/wiki/الموسوعة_الحرة.
- 5- باومان زيجمونت، (2016)، الأخلاق في زمن الحادثة السائلة، ترجمة سعد الباعلي، بثينة الإبراهيم، ط1، هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة، أبو ضبي الإمارات.
- 6- باومان زيجمونت، (2017)، الأزمنة السائلة، العيش في عصر اللايقين، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان.
- 7- باومان زيجمونت، (2017)، الحادثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان.
- 8- رسول محمد رسول، (2016/09/04)، منظومة القيم في عالمنا الإستهلاكي المعولم، جريدة الشرق الأوسط، <https://aawst.com>، تاريخ الزيارة: 2023/09/11.
- 9- عزيبي مصباح، فلسفة التعليم في زمن الحادثة السائلة، جريدة نبض العرب الإلكترونية (2021/03/29)، <https://www.watannews-sa.com>، تاريخ الزيارة: 2023/07/14.
- 10- محمد عمو (2021)، بين المجتمع السائل والمجتمع الفاضل، <https://islamonline.net>، تاريخ الزيارة: 2023/09/22.
- 11- محمد يسري أبو هدور، (2017)، هل تتسبب المراقبة المتطورة في دمار البشرية؟، <https://www.almayadeen.net>، تاريخ الزيارة: 2023/07/23.

ب- باللغة الأجنبية:

- 1- Davis Stanly and David L. Goetsch (1995), Implementing Total Quality, Englewood Cliffs: Prentice – Hall Ltd.
- 2- Morrison, Elizabeth Wolfe, (1996), Organizational Citizenshep Behavior as a Critical Link between HRM Practices and Service Quality, Human Resources Man.
- 3- Teboul, James,(1991), Managing Quality Dynamics, London: Prentice Hall International (UK) Ltd.
- 4- Verginas, T., and Alexander, M.(1971), New Webster Dictionary of the English Language , G @ C Merrian Co. Chicago